

تاريخ النشر: 2025/06/01 تاريخ القبول: 2025/05/26 تاريخ الاستلام: 2025/03/01



مقاربة أنثربولوجية نبوية لأسطورة يما قورايا "وفق منهج ستروس"

✍ بوشريحة إبراهيم²
Boucheriha .ibrahim@yahoo.com
جامعة ابن خلدون تيارت / الجزائر

✉ خربوش سماعيل¹
Smaine.kherbouche@univ-tiaret.dz
جامعة ابن خلدون تيارت / الجزائر

A Structural Anthropological Analysis of the Myth of Yema gouria Based on Claude Lévi-Strauss's Methodology

~~✉~~ kherbouche smaine
Smaïne.kherbouche@univ-tiaret.dz
Ibn Khaldoun University of Tiaret -
Algeria

~~✉~~ **boucheria Ibrahim**
Boucheriha .ibrahim@yahoo.com
Ibn Khaldoun University of Tiaret -
Algeria

¹ المؤلف المرسل: خروش سماعين

ملخص البحث

أسطورة "يماقورايا" من الأساطير الجزائرية القديمة تعود إلى الثقافة البربرية الأمازيغية القديمة في شمال إفريقيا، تتداول بحكايات مختلفة تروي قصة امرأة قوية وحكيمة تُدعى "يماقورايا"، والتي تُعتبر رمزاً للتضحية والقوة والحماية والأمومة ترقد في أعالي مدينة بجاية في ضريح لا يزال قبلة للزوار والعابرين ففي ثقافة المنطقة يشكل هذا الصرح الحماية والأمان للمنطقة. فمن خلال المقاربة الأنثروبولوجية البنيوية، حاولنا تحليل هذه الأسطورة لفهم البنية الثقافية العميقة التي تعكسها، وذلك باستخدام منهج كلود ليفي ستروس في تحليل الأساطير.

يمكن تحليل هذه الأسطورة لفهم البنى الثقافية العميقة التي تعكسها. فأسطورة يماقورايا تعبر عن ثنائيا متضادة، ووحدة أسطورية، مشتركة، كما تلعب دوراً اجتماعياً في تفسير الظواهر والحفاظ على الهوية الثقافية. تعكس الأسطورة الرموز التي تشكل اللاوعي الجمعي للمجتمع الأمازيغي، مما يجعلها أداة قوية لفهم الثقافة والهوية من خلاص نصوص شعبية تعكس روح التأخي والتضامن وبناء مجتمع متماسك، كما تعكس لنا هذه الأسطورة روح و شجاعة المرأة الجزائرية وقدرتها على تحقيق السلم والأمان بين الرعية.

الكلمات: الأسطورة – الأنثروبولوجية البنيوية – الثنائيات الضدية – البنية العميقة.

ABSTRACT:

The myth of "Yema Gouraya" is one of the ancient Algerian myths rooted in the Berber (Amazigh) culture of North Africa. It revolves around various tales that tell the story of a strong and wise woman named "Yema Gouraya", who is considered a symbol of sacrifice, strength, protection, and motherhood. She rests in a shrine located in the heights of the city of Béjaïa, which remains a destination for visitors and travelers. In the local culture, this monument represents protection and safety for the region. Through a structural anthropological approach, we attempted to analyze this myth to understand the deep cultural structures it reflects, using Claude Lévi-Strauss's method of myth analysis.

This myth can be analyzed to uncover the deep cultural structures it embodies. The myth of Yema Gouraya expresses opposing dualities, mythical units, and shared intellectual structures, while also playing a social role in interpreting phenomena and preserving cultural identity. The myth reflects symbols that form the collective unconscious of the Amazigh society, making it a powerful tool for understanding culture and identity.

Key words :The myth - structural anthropological - Opposite dualities - Deep structure

1. مقدمة:

تعد الأساطير من أقدم أشكال التعبير الشفهي التي إستخدمها البشر لتفسير العادات و التقاليد، والمعتقدات ، و الطقوس ، و الممارسات العفوية لحياتهم اليومية لنقل قيمهم ومعتقداتهم عبر الأجيال. ومن بين المناهج التي حاولت فهم الأساطير وتحليلها، برزت المقاربة الأنثروبولوجية البنيوية التي طورها العالم الفرنسي كلود ليفي ستراوس. تعتمد هذه المقاربة على دراسة البنى العميقة التي تنظم الظواهر الثقافية والاجتماعية، مع التركيز على الأساطير كنظم رمزية تعكس الفكر البشري المشترك. ليفي ستراوس، أحد أبرز علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، رأى أن الأساطير ليست مجرد حكايات خرافية، بل هي أنظمة معقدة من الرموز التي يمكن تحليلها لفهم البنى الثقافية الخفية. من خلال منهجه البنيوي، حاول ستراوس الكشف عن الثنائيات المتضادة والوحدات الأسطورية (mythemes) التي تشكل البنية العميقة للأساطير، معتبراً إياها أدوات لفهم التناقضات الأساسية في الثقافة الإنسانية.

في هذه المقالة، سنتناول المقاربة الأنثروبولوجية البنيوية للأسطورة عند ليفي ستراوس، من خلال تحليل أبرز أفكاره حول الأساطير ودورها في تشكيل الثقافات. سنناقش كيف يعتمد ستراوس على مفاهيم مثل الثنائيات المتضادة والوحدات الأسطورية لفهم البنى الثقافية، وكيف يمكن تطبيق هذه المقاربة على أساطير محددة، مثل أسطورة يما قورايا في الثقافة الأمازيغية. سنسلط الضوء أيضاً على أهمية هذه المقاربة في فهم الهوية الثقافية واللاوعي الجمعي للمجتمعات.

من خلال هذا التحليل، نهدف إلى إبراز كيف ساهمت مقاربة ليفي ستراوس في إثراء دراسة الأساطير، وكيف يمكن لهذا المنهج أن يقدم رؤى عميقة حول دور الأساطير في تفسير العالم والحفاظ على التراث الثقافي.

2. الأسطورة والأنثروبولوجية البنيوية :

1.2 مفهوم الأسطورة :

اختلف الباحثون في تعريف الأسطورة، فمنهم يراها حكاية، متوارثة مشافهة جيلا بعد جيل ، مليئة بالخوارق والمعجزات، يمتزج فيها الواقع بالخيال الشعبي من خلاله تصوير القاص عالما من الظواهر الطبيعية، والقوى الغيبية ، و الخوارق ، و المعجزات و بهذا تتحول الأسطورة إلى حاجة روحية تعبر عن إنفعالات الإنسان وتأملاته، وتحقق ما يعجز عن تحقيقه في الواقع. والبعض يراها تصورات تتجاوز الواقع

وخرجت عن المؤلف. وحتى يتضح لنا مفهوم الأسطورة جيد و جب علينا تحديد بعض المفاهيم العامة لهذا الجنس النثري :

أ.لغة : ففي المعاجم العربية الأسطورة مأخوذة من فعل سطر، والسطر هو الصف في الكتاب والشجر والنخل ونحوها، والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار أساطير وسطور. والسطر هو الخط والكتابة، والأساطير هي الأباطيل والأحاديث المنمقة التي لا نظام لها ومفردها، أسطار وأسطارة وأسطورة (لسان العرب، صفحة 576).

حدد الزمخشري في كتابه اسرار البلاغة مفهوم الأسطورة في اللغة بأنها مأخوذة من الجذر الثلاثي: «س ط ر: سطر واستطر: كتب. وكتب سطرًا من كتابه وسطرًا وأسطرا وسطورا وأسطارًا، وهذه أسطورة من أساطير الأولين: مما سَطَّروا من أعاجيب أحاديثهم، وسطر علينا فلان: قص علينا من أساطيرهم». (أساس البلاغة، صفحة 454)

وأما عن مدلولها في المعجم الوسيط فقد ورد: «(سطر): الكتاب سطرًا كتبه وفُلاَنًا صرعه والشَّيْءُ بِالسَّيْفِ قطعُه. (أسطر) الشَّيْءُ أَخْطَأَ فِي قِرَاءَتِهِ وَيُقَالُ أُسْطِرَ اسْمِي تَجَاوَزَ السَّطْرَ الَّذِي هُوَ فِيهِ. (سطر) الكتاب سطره والورقة رسم فيها خُطُوطًا بالمسطرة والعبارة ألفها ويُقال سطر الأكاذيب وسطر علينا قص علينا الأساطير. (استطر) الكتاب سطره. (الأساطير) الأباطيل والأحاديث العجيبة وفي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ (إن هَذَا إِلَّا أساطير الأولين) ، وَاحِدَهَا إِسْطَارٌ وَإِسْطِيرٌ وَأُسْطُورٌ وبالهاء في الثَّلَاثَةِ. » (المعجم الوسيط، صفحة 429)

أما في اللغات الأجنبية فالأسطورة عند اليونانيين فقد شتقت من لفظ Mythos، وفي الانجليزية Myth. وهي تعني بذلك حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال، لذلك وجد مصطلح ميثولوجي Mythology في الانجليزية بمعنى علم دراسة الأساطير (مغامرة العقل الأولى- دراسة في الأسطورة، صفحة 12).

تُعرف الأسطورة في المعاجم العربية، بأنها "الحكاية أو الخرافة التي لا أصل لها"، أي أنها قد تكون بعيدة عن الواقع أو غير مثبتة تاريخيًا. ومع ذلك، فإن الأساطير تحمل قيمة ثقافية ورمزية كبيرة في العديد من الحضارات في الاستخدام اللغوي، تُطلق الأسطورة على القصص القديمة التي تتناولها الأجيال، وغالبًا ما تكون مرتبطة بالمعتقدات الدينية أو الثقافية أو التاريخية..

. وردت "الأسطورة" في القرآن الكريم في تسع موارد متفرقة، بصيغة الجمع مع الإضافة و أغلبها جاءت لترد عن إتهامات المشركين الذين وصفوا القرآن بأنه "أساطير الأولين"، أي قصص قديمة لا قيمة لها. والقرآن يرد على هذه الاتهامات بتأكيد أنه كلام الله الحق، وليس مجرد أساطير أو خرافات متادولة.

ب. إصطلاحا:

يعرف فاروق خورشيد الأسطورة بأنها: "كلمة يحيطها سحر خاص... يعطي لها من الإمتداد ما لا يتوفر للكثير من الكلمات في أية لغة من اللغات، كما أن الأسطورة توحى بالحلم حيث يمتزج بالحقيقة، وبالخيال وهو يثري واقع الحياة بكل ما يغلقه ويطوله وتهويم الطموح الإنساني نحو المعرفة ونحو المجهول" (أديب الأسطورة عند العرب - جذور التفكير و الأصالة و الإبداع ، صفحة 12)

أما الدكتورة نبيلة إبراهيم تعرفها بأنها " : حكاية مقدسة تقليدية، تُعبّر عن معتقدات الجماعة ومفاهيمها، وتُقدّم تفسيراً للظواهر الطبيعية أو الاجتماعية أو الثقافية، وتتميّز بوجود عناصر خارقة للطبيعة أو آلهة أو أبطال أسطوريين". (الأسطورة والتراث الشعبي، صفحة 45)

تقر التعريفات السالفة الذكر بأن الأسطورة هي حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات المنسوخة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية، تعرض تجاربها وعالمها فردياً أو جماعياً. كما أنها تفسر خلق الكون والإنسان ونشأة الموت والقربان وأعمال الأبطال (الأساطير وعلم الاجناس، صفحة 10)

مهما يكن من أمر، فقد اختلف المفكرون والباحثون في الوصول إلى تحديد مفهوم ثابت للأسطورة، فبعضهم يراها حكاية، وبعضهم يرى أنها مجموعة تصورات تتجاوز الفعل الموضوعي. وبشكل عام، فالأسطورة رغم تضارب الآراء هي مجموعة من الحكايات الطريفة المتوارثة منذ أقدم الفترات والعهود الإنسانية، تكون حافلة بمختلف أنواع الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الواقع بالخيال، ويمتزج عالم الظواهر بما فيه من إنسان وحيوان ونباتات ومظاهر كونية بعالم ما فوق الطبيعة من قوى غيبية آمن بها الإنسان الأول واعتقد بألوهيتها، فتعددت نظرة الآلهة مقترية بتعدد مظاهرها المختلفة (الأسطورة في الشعر العربي، صفحة 16).

الأسطورة في جوهرها، هي حكاية تعتمد على مبادئ السرد القصصي، تتناول موضوعات وجودية كالحياة والموت، وتطرح رؤى عميقة عن الكون والإنسان. هذه المضامين تُعتبر حقيقية صادقة بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بها، مما يجعل الأسطورة أكثر من مجرد قصة؛ إنها رمز إنساني خالد يعبر عن رؤية حضارية وثقافية وهذا ما أكده كلود ليفي ستراوس في قوله: "الأسطورة عبارة عن بناء رمزي يعكس البنية العميقة للعقل البشري، وتُستخدم لحلّ التناقضات الثقافية أو الاجتماعية من خلال سرد قصصي يدمج بين العناصر المتناقضة في إطار واحد". (الأنثروبولوجيا البنيوية، صفحة 112)

قد لا تقتصر الأسطورة على الحكايات القديمة فحسب، بل تمتد لتشمل أشكالاً أخرى إرتبطت بها وتداخلت معها، ومن أبرز هذه الأشكال الطقوس، الذي تعتبر أحد الدعائم الأساسية في تشكيل الأسطوري. فالطقس يُمارس في إطار الاحتفالات الشعبية التي ترتبط بزمان محدد وتتم بطريقة ثابتة

ومتكررة، مما يعكس إرتباطها الوثيق بالأسطورة ، فهي ليست مجرد تراث من الماضي، بل هي موروث شعبي لا يزال يؤثر في الوعي الجماعي، سواء بشكل مباشر من خلال الممارسات الثقافية والدينية، أو بشكل غير مباشر عبر الرموز والقيم التي تنقلها عبر الأجيال. فهي تعكس رؤية الإنسان للعالم وتفاعله معه، وتكشف عن كيفية تفسيره للظواهر الطبيعية والاجتماعية.

وعلى هذا الأساس، فإن الإنسان البدائي قد نظر إلى العالم من خلال عدسة أسطورية، حيث جمع بين الطبيعة والمجتمع في كيان واحد متكامل. فلم يفصل بين الأشياء والأحياء، بل رأى الكون كوحدة واحدة تسكنها الأرواح والنفوس. فكما أدرك أن للأحياء نفوسًا، فقد منح الأشياء أرواحًا أيضًا، معتقدًا أن كل شيء في الطبيعة يحمل روحًا ووعيًا. لم يتصور الإنسان البدائي العالم الطبيعي ككيان جامد أو صامت، بل رآه ككائن حي مدرك، قادر على السماع والرد والتحدث. ففي هذه النظرة الأسطورية، تظهر الأرواح في كل مكان، تملأ الفراغات وتسكن في كل شيء، من أصغر الأشياء إلى أعظمها.

باختصار، الأسطورة ليست مجرد حكايات من الماضي، بل هي رؤية فلسفية ووجودية تعكس كيفية فهم الإنسان البدائي للعالم من حوله. فهي تجسد العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وتكشف عن محاولاته لتفسير الظواهر الغامضة من خلال إضفاء الطابع الإنساني على كل ما يحيط به. هذه النظرة الأسطورية لا تزال تؤثر فينا حتى اليوم، سواء من خلال الموروث الثقافي أو من خلال الرموز التي تشكل جزءًا من وعينا الجمعي (مقدمة في نظرية الأدب، الصفحات 39-40).

1.2.2 البنيوية الأنثروبولوجية :

هي مدرسة فكرية في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) تركز على تحليل الثقافة والمجتمع من خلال البحث عن البنى الخفية التي تنظم الظواهر الاجتماعية، يعرفها مؤسسها كلود ليفي ستروس بأنها "منهج يهدف إلى إكتشاف البنى العميقة التي تحكم العلاقات الاجتماعية والثقافية، والتي تكون غالبًا غير واعية للأفراد." (الأنثروبولوجيا البنيوية"، صفحة 12)

أما عبد الله عبد الرحمن يتيم في كتابه "الأنثروبولوجيا: علم الإنسان والحضارة يعرفها بأنها: " منهج تحليلي يعتمد على دراسة البنى العميقة التي تنظم الظواهر الثقافية والاجتماعية. تأثر هذا المنهج بأفكار كلود ليفي ستروس، الذي رأى أن الثقافة تعبير عن بنى عقلية مشتركة بين البشر، يمكن الكشف عنها من خلال تحليل الأنظمة الرمزية مثل الأساطير والطقوس وأنظمة القرباء". (الأنثروبولوجيا: علم الإنسان والحضارة، صفحة 147)

يوضح د. محمد الجوهري أنها: "إتجاه نظري في الأنثروبولوجيا يهتم بتحليل البنى الثقافية والاجتماعية من خلال البحث عن القواعد والأنظمة التي تحكمها. يعتمد هذا المنهج على فكرة أن الثقافة تشبه اللغة، حيث يمكن تفكيكها إلى وحدات رمزية وعلاقات بينية. (لأنثروبولوجيا: المذاهب والنظريات، صفحة 89)

"الأنثروبولوجيا البنيوية هي منهج علمي يهدف إلى الكشف عن البنى الخفية التي تنظم الظواهر الثقافية. يعتمد هذا المنهج على تحليل العلاقات بين العناصر الثقافية بدلاً من دراسة كل عنصر على حدة، مما يسمح بفهم الثقافة كنظام متكامل (الأنثروبولوجيا البنيوية: كلود ليفي ستروس نموذجاً، صفحة 34).".

أما علي أسعد وطفة في كتابه "الأنثروبولوجيا الثقافية: النظرية والتطبيق: الأنثروبولوجيا البنيوية هي اتجاه نظري يهتم بتحليل البنى الثقافية والاجتماعية من خلال البحث عن القوانين التي تحكمها. يعتمد هذا المنهج على فكرة أن الثقافة تشكل نظاماً من العلامات والرموز التي يمكن تحليلها بشكل موضوعي". (الأنثروبولوجيا الثقافية: النظرية والتطبيق، صفحة 102)

فمما تقدم نستنتج أن الأنثروبولوجيا البنيوية هي منهج نظري في علم الإنسان يهدف إلى إكتشاف البنى العميقة التي تنظم الثقافة والمجتمع، مع التركيز على تحليل الأنظمة الرمزية والعلاقات بين العناصر الثقافية. يعتمد هذا المنهج على أفكار كلود ليفي ستروس، الذي رأى أن الثقافة تعبير عن بنى عقلية مشتركة بين البشر.

2.2.2 تحليل كلود ليفي ستراوس للأسطورة :

كلود ليفي ستروس عالم إجتماع وفيلسوف و أحد أبرز الأنثروبولوجيين في القرن العشرين، قام بدراسة الأساطير والرموز الثقافية وإعتبرها نماذج تحمل معاني هيكلية تمثل تنظيم المعرفة والثقافة. درس القوانين الثقافية وكيفية تجليها في الأساطير، أسس منهج جديد لدراسة الأساطير البنيوية في العلوم الاجتماعية و أطلق عليها (الأنثروبولوجيا البنيوية) يعتمد فيها على التحليل البنيوي ، فالأساطير عنده ليست مجرد حكايات خرافية، بل هي أنظمة رمزية تعكس الفكر البشري وتساعدنا على فهم العالم من حولنا (الأنثروبولوجيا البنيوية: كلود ليفي ستروس نموذجاً، صفحة 31).

يعتمد منهجه على فكرة أن الأساطير تخضع لبنى خفية يمكن إكتشافها خلال تحليلها ، حيث تتبع أنظمتها المحددة لهذا إستعار المنهج من عالم اللّغة فرديناند دي سوسير، الذي درس اللغة كبنية وجعلها نظاماً من العلامات (Signs) التي تتكون من دال الصورة الصوتية أو المكتوبة للكلمة (Signifier). ومدلول (Signified) المفهوم أو الفكرة التي يمثلها الدال فالعلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية (Arbitrary) ، أي أنها لا تعتمد على أي سبب طبيعي.

بهذا يكون دي سوسير قد قدمت إطاراً نظرياً لفهم اللّغة كنظام من العلامات التي تحصل على معناها من خلال علاقاتها مع بعضها البعض. هذه المفاهيم أثرت بشكل كبير على الدراسات اللّغوية والثقافية، وأصبحت أساساً للعديد من المناهج النقدية الحديثة (الأنثروبولوجيا البنيوية"، الصفحات 76-77).

الأساطير وفقاً ستراوس :

- 1- تعبر عن ثنائيات متضادة، مثل الخير والشر، الحياة والموت، الطبيعة والثقافة، هذه المتضادات تشكل البنية العميقة للأساطير وتعمل على التوفيق بين هذه الثنائيات من خلال سرد قصص رمزية.
- 2- يقسم الأساطير إلى وحدات صغيرة تسمى "الوحدات الأسطورية" (mythemes) وتتكون من العناصر الأساسية مثل: الشخصيات، الأحداث، والرموز فمن خلال تحليل العلاقات بين هذه الوحدات وحل التناقضات، يمكن فهم البنية الكامنة للأسطورة. على سبيل المثال، في تحليله لأسطورة أوديب، إستنتج وحدات أسطورية تشمل قتل الأب، الزواج من الأم، وعقاب أوديب، هذه الوحدات تعبر عن تناقضات عميقة في الثقافة الإنسانية، و تعالج التناقض بين القدر والاختيار، لتقدم هذه الأساطير حلولاً رمزية للتناقضات التي تواجهها المجتمعات وتعمل هذه الأخيرة كأدوات للتوفيق بين المتناقضات.
- 3- يرى أن الأساطير تعكس البنى الفكرية المشتركة بين البشر الذي تتجاوز الإختلافات الثقافية الظاهرية. على سبيل المثال، أسطورة الخلق تتكرر في العديد من الثقافات مع إختلافات طفيفة، تعكس البنى الفكرية العميقة التي تشترك فيها البشرية، الأساطير تعمل كأدوات للفهم و مساعد البشر على تفسير الظواهر الطبيعي والاجتماعية. على سبيل المثال، أساطير الخلق تفسر أصل الكون والحياة
- 4- ففي الكثير من الأحيان تعمل كأدوات للحفاظ على التوازن النفسي والاجتماعي وتساعد على التكيف مع التحديات التي قد تواجهها المجتمعات، فتعمل كأدوات للتواصل تنقل القيم والمعتقدات بين الأجيال. على سبيل المثال، الأساطير الشفوية تحفظ تاريخ المجتمعات التي لا تمتلك كتابة فتصبح كأدوات للتعبير عن الهوية الثقافية لمجتمع ما و تعكس لنا قيم ومعتقدات المجتمع الذي قيلت فيه من خلال عرضها لمختلف الموروثات الانسانية باستخدام معايير قولية و فعلية و تحولها لصور رمزية تشكل اللاوعي الجمعي للإنسان على سبيل المثال، أسطورة البطل التي قد تتكرر في العديد من الثقافات.
- فقد تصبح هذه أدوات تعبير عن الصراعات النفسية التي يواجهها الإنسان في حياته مثل لنا ستروس في أسطورة أوديب التي تعبر عن الصراع بين الرغبة والقانون و تعمل كأدوات للتعبير عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة.
- 5- يرى أن الأساطير تعمل كأدوات للتعبير عن العلاقة بين الفرد والمجتمع. الأساطير تعبر عن العلاقة بين الفرد والمجتمع. على سبيل المثال، أساطير البطل تعبر عن دور الفرد في المجتمع في الماضي والحاضر وهذا ما قد نجده في الأساطير التاريخية التي تعبر عن أحداث الماضي.
- قد تعانق الأسطورة الحلم و تعمل كأدوات للتعبير عن العلاقة بين الحلم والواقع على سبيل المثال، الأساطير الخيالية تعبر عن أحلام البشر.

6- ليفي ستراوس يرى أن الأساطير تعمل كأدوات للتعبير عن العلاقة بين: الحياة والموت، الخير والشر، الطبيعة والثقافة، الصراع بين الآلهة والشياطين، بين الفردي والجماعي، بين المقدس والدنيوي، الرمزي والواقعي، الحلم والواقع. الماضي والحاضر. (ستراوس، صفحة 120.129)

3. مقارنة أنثربولوجية بنيوية لأسطورة يما قورايا

1.3 نص الأسطورة يما قورايا :

يقال إنه في أحد الأيام في منطقة "بجاية" كانت امرأة اسمها قورايا، وكانت هذه الأخيرة معروفة بقوة شخصيتها وشجاعتها، وكان في هذه المدينة زعيم يرأسها وهذا الأخير لا يحب هذه المرأة لأنها كانت تحمل نفس شخصية الرجال وكانت تحب أن تفرض رأيها على الجميع وخاصة منهم الرجال. وفي أحد الأيام أمر زعيم القبيلة حراسه الإتيان بقورايا وحبسها في قفص بحيث لا تخرج منه، فأتى الحراس بها وحبسوها في القفص، وبعد مرور مدة من الزمن، سطا على القبيلة مجموعة من قطاع الطرق، حيث نهبوا وسلبوا أملاك القرية ونهكوا أعراض نساءها، في حين أن قورايا كانت في القفص.

وبعد سماعها بالخبر طلبت من الحراس أن يطلقوا سراحها فلم يفعلوا، ولكن بعد تفاقم الوضع على القرية، وبعد إلحاح قورايا فتحوا لها القفص، لأنها وعدتهم بإخراج اللصوص من القرية.

فذهبت يما قورايا مباشرة إلى زعيم القرية وأشارت إليه بان يعطيها كنزه مقابل إخراج قطاع الطرق من القرية، فأعطاهم الكنز وبدأت تمشي في أنحاء القرية وتلقي بالذهب وراءها فتبعها قطاع الطرق واخذوا يلتقطون الذهب الذي ألقته قورايا.

فتوجهت قورايا مباشرة إلى البحر ومشت في مياهه دون أن تتوقف عن إلقاء الذهب على الأرض واستمر اللصوص بملاحقتها، ولما غطسوا في البحر هلكوا جميعا، أي غرقوا، لكنها نجت لأنها تحسن السباحة على عكس اللصوص فتخلصت منهم وتخلص سكان القرية منهم. (قاموس الأساطير الجزائرية، الصفحات 168-169)

فأصبحت يما قورايا حديث العام والخاص وأصبح يضرب بها المثل، أصبحت أيضا محبوبة لدى الجميع وخصوصا زعيم القبيلة الذي أصبح يقدرها.

فقررت يما قورايا أن تحرس القرية ليلا نهارا، وهي مستلقية على الأرض لا تنام، إلى أن وافته المنية وهي على حالة استلقائها، فدفنت يما قورايا وعم الحزن على القرية.

فما زال مكانها إلى يومنا هذا على حاله أي على الحالة التي توفيت عليها حيث أصبح مكانها تمثالا

لها لما كانت مستلقية ، ولهذا إذا زرنا بجاية شاهدنا يما قورايا وهي مستلقية على يدها، حيث لا يزال سكانها إلى يومنا هذا يزورون مكان يما قورايا ويكررون قصتها كلما زاروها. (قاموس الأساطير الجزائرية، صفحة 169)

2.3 تحليل نص الأسطورة وفق منهج ستراوس:

1.2.3 البنية السردية:

البداية: يما قورايا تُحبس في القفص و تأسر بأمر من زعيم القرية .

العقدة: هجوم اللصوص على القرية.

الحل: يما قورايا تنقذ القرية.

النهاية: يما قورايا تصبح رمزاً للبطولة و العطاء .

2.2.3 الشخصيات: تظهر عدة شخصيات رئيسية تلعب أدواراً مهمة في تطور الأحداث وإيصال الرسائل الثقافية والرمزية. سأقدم تحليلاً لشخصيات الأسطورة ودورها في القصة.

● يما قورايا: الشخصية الرئيسية من الشخصيات الأسطورية في التراث الشعبي الجزائري، في منطقة القبائل ترمزاً للقوة والحكمة والأمومة، ففي رواية شعبية هي : وغالباً ما تُصور كامرأة عجوز ذات معرفة واسعة وقدرات خارقة للطبيعة.

"يتكون اسم يما قورايا من شقين الشق الأول "يما" في اللغة الأمازيغية تعني "الأم" ، بينما الشق الثاني "قورايا" تعني "العجوز" أو "الطاعن في السن". و عند جمع الكلمتين معنا نقول : "يما قورايا" تعني حرفياً "الأم العجوز". تحمل هذه المرأة صفات كثيرة أهمها :

الأمومة: كما يشير إسمها، هي شخصية أمومية تعتني بالآخرين وتقدم الدعم العاطفي والمعنوي.

القوة: تمتلك قوة جسدية وذهنية تمكنها من مواجهة التحديات.

الشجاعة: تتحدى السلطة الذكورية (زعيم القرية) وتواجه اللصوص بجراً.

الذكاء: تستخدم الذهب كأداة لإغراء اللصوص وإنقاذ القرية.

التضحية: تخاطر بنفسها لإنقاذ قريتها وتصبح رمزاً للتضحية.

الحكمة: يما قورايا هي رمز للحكمة والمعرفة، حيث تُعتبر مرجعاً للشخصيات الأخرى في الحكايات الشعبية عندما يحتاجون إلى نصيحة أو حل لمشكلة.

القدرات الخارقة: في بعض الحكايات، تُصور يما قورايا كشخصية ذات قدرات سحرية، مثل القدرة على الشفاء أو التنبؤ بالمستقبل.

الارتباط بالطبيعة: غالبًا ما تُصور يما قورايا كشخصية تعيش في البرية أو في أماكن بعيدة عن البشر، مما يعكس ارتباطها بالطبيعة والأرض.

الرمزية: تمثل المرأة القوية التي تتحدى القيود الاجتماعية وتصبح حامية للمجتمع.

يما قورايا هي شخصية تعكس الثقافة الأمازيغية وتقاليدها، حيث تُعتبر رمزًا للهوية والتراث فهي رمزًا لقوة المرأة وحكمتها في مجتمع تقليدي تُقدّر فيه النساء الكبيرات في السن لخبرتهن وحكمتهم المكتسبة على مر السنين.

إن الارتباط العميق بين الإنسان والأرض في الثقافة الأمازيغية جعل من يما قورايا بطلا خارقا ذو قوى خفية و حكمة سديد يساهم في تحرير أهل القرية من الاستعباد و الاستعمار ، و هذا ما الى ظهور شخصية يما قورايا في العديد من القصص والأشعار الأمازيغية كرمز للحكمة والأصالة حتى بعد وفاتها فضريحها لا يزال الحصن المتين الذي يحيي مدينة بجاية عبر مختلف العصور الزمنية كم تُصور أحيانا في الأعمال الفنية، مثل النحت والرسم، كشخصية عجوز تحمل سمات الحكمة والوقار.

• زعيم القرية :: يمثل السلطة الذكورية التي تحاول قمع يما قورايا بسبب شخصيتها القوية.

الصفات: السلطة: يمتلك سلطة على القرية ويحاول فرض سيطرته.

الخوف من التغيير: لا يحب يما قورايا لأنها تتحدى الأعراف الاجتماعية.

التقدير المتأخر: في النهاية، يعترف بقيمة يما قورايا ويقدرها بعد أن تنقذ القرية.

الرمزية: يمثل النظام الاجتماعي التقليدي الذي يحاول إسكات صوت المرأة القوية.

• اللصوص: يمثلون التهديد الخارجي الذي يواجه القرية حاولوا أن ينهبوها ويهددوا أمنها ينجذبون إلى الذهب الذي تلقي به يما قورايا، مما يؤدي إلى هلاكهم في أعماق البحار بعد لجأ قهم بيما قورايا وغرقهم في البحر ، فهم التهديدات الخارجية التي تواجه المجتمع، مثل العدوان أو الاستعمار.

• الحراس: (الطاعة – الولاء - التغيير) يمثلون الأفراد الذين يتبعون الأوامر التي يصدرها زعيم القرية بحبس يما قورايا في القفص. دون تفكير في النهاية، لكن سرعان ما يتغير هذا التفكير و يطلقون سراح يما قورايا بعد إلحاحها ووعداها بإنقاذ القرية.

• سكان القرية: يمثلون المجتمع الذي يحتاج إلى الحماية فهم يعانون من هجمات اللصوص ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وفي النهاية، يقدر يما قورايا ويخلدون ذكرها.

- البحر: يمثل القوة الإلهية أو القدر الذي يتدخل لتحقيق العدالة ، اذ يعتبر القوة الطبيعية التي تعاقب الأشرار يبتلع اللصوص ويعاقبهم على أفعالهم .يعمل كأداة لتحقيق العدالة الطبيعية.
- التمثال: خلود: التقدير: يمثل الخلود والتقدير الأبدى ليما قورايا ويجعلها رمزاً دائماً للشجاعة والتضحية من خلال دورها الفعال في إنقاذ القرية من الأعداء و تخليصهم من الظلم و الإستبداد لهذا إستحقت الشخصية الأسطورية الخلود والتقدير الأبدى للبطولة.

3.2.3 العلاقات بين الشخصيات:

تربط الشخصيات علاقات مختلفة تسير المسار السردى للأسطورة و تعطينا علاقات مختلفة يمكن تحديدها من خلال عرض كل علاقة على حسب الدور تلعبه في أحداث القصة :

فلاقة يما قورايا وزعيم القرية: تمثل علاقة الصراع، حيث يحاول الزعيم قمعها و سجنها في القفص خوفاً من ضياع سلطة الزعامة ، ولكنها تتحداه وتثبت قيمتها، عندما تقوم بالقضاء على اللصوص و تحمي القرية و تعيد الإستقرار و السكينة لأهل القرية و هنا تتغير العلاقة و تصبح مع الحراس حيث يطلق سراحها بعد أن تثبت لهم قدرتها على إنقاذ القرية.

لينتقل الصراع بين يما قورايا واللصوص و تصبح علاقة مواجهة ، حيث تستخدم هذه الأخيرة ذكاءها و فطنتها ، وشجاعتها لهزيمة اللصوص عند إغرائهم الذهب ، فالطمع و الجشع قد يؤدي أحيانا الى الهلاك .

أما مع سكان القرية العلاقة هي حماية فيما قورايا المنقذ الرئيسي للقرية الذي توج بتاج الخلود، وتصبحت رمزا للتضحية العطاء .

شخصيات أسطورة "يما قورايا" تعكس قيماً ثقافية و إجتماعية عميقة، فيما قورايا تمثل المرأة القوية والشجاعة التي تتحدى الأعراف الاجتماعية وتصبح حامية للمجتمع، أما الزعيم يمثل السلطة الذكورية التقليدية، بينما اللصوص يمثلون التهديدات الخارجية و القوة الظالمة التي تحرك صراع الأحداث ، على غرار الحراس وسكان القرية يمثلون المجتمع الذي يحتاج إلى الحماية إضافة إلى البحر والتمثال يضيفان بعداً رمزياً للقصة، حيث يعكسان العدالة الطبيعية والخلود.

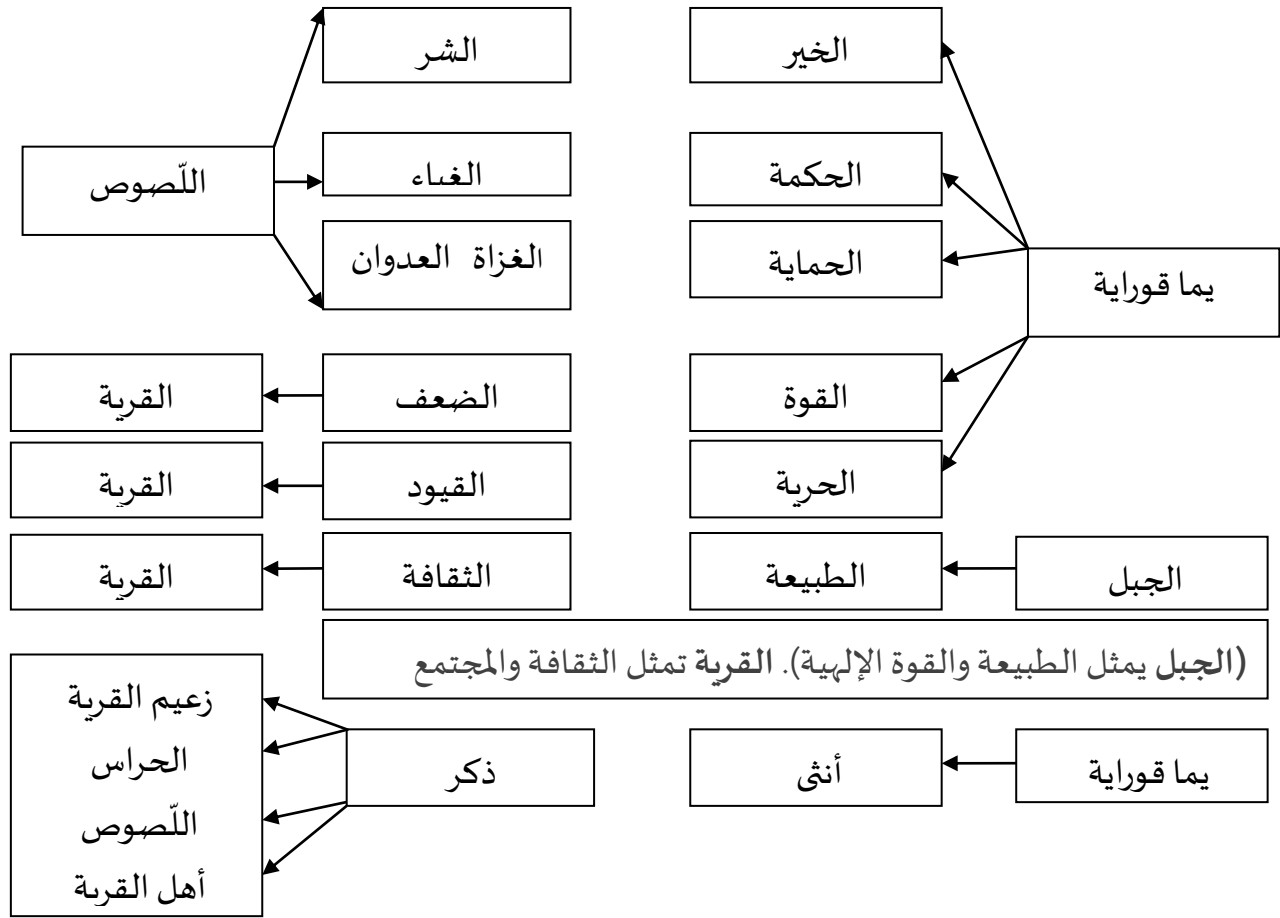
4.2.3 الوحدات الأسطورية في أسطورة يما قورايا:

الجدول 1: يمثل الجدول التالي أهم الوحدات الأسطورية

الابطل/البطله الأسطورية:	يما قورايا هي الشخصية المركزية في الأسطورة، وهي امرأة أمازيغية تتمتع بقوة جسدية وشجاعة نادرة. تُصوّر كرمز للمقاومة والدفاع عن الأرض والعائلة.
الصراع بين الخير والشر:	تحتوي الأسطورة على صراع بين يما قورايا وقوى الظلم أو الغزاة الذين يحاولون السيطرة على أرضها وشعبها. هذا الصراع يعكس القيم الأخلاقية والاجتماعية للثقافة الأمازيغية.
العناصر الخارقة للطبيعة:	قد تتضمن الأسطورة عناصر خارقة للطبيعة، مثل قوى سحرية أو مساعدة من الآلهة أو الأرواح، والتي تساعد يما قورايا في تحقيق انتصاراتها.
الرمزية الثقافية:	يما قورايا تُمثّل قيم المقاومة والصمود والدفاع عن الهوية الأمازيغية. الأسطورة تعكس أهمية المرأة في المجتمع الأمازيغي ودورها في الحفاظ على الثقافة والتقاليد.
الحدث الأسطوري:	قد تتضمن الأسطورة حدثاً مركزياً، مثل معركة كبيرة أو موقفاً دراماتيكياً تُظهر فيه يما قورايا شجاعتها وقوتها، مما يجعلها شخصية أسطورية خالدة.
الرسالة الأخلاقية أو الاجتماعية:	الأسطورة تحمل رسائل حول أهمية المقاومة والوحدة والدفاع عن الأرض والهوية، وهي قيم أساسية في الثقافة الأمازيغية.

5.2.3 الثنائيات المتضادة:

الأسطورة تحاول التوفيق بين هذه الثنائيات المتضادة من خلال سرد قصة إنقاذ القرية، البنية العميقة للأسطورة تعكس الصراع بين الخير والشر، والقوة والضعف، والحرية والقيود. النهاية السعيدة (إنقاذ القرية) تعكس تحقيق التوازن بين هذه الثنائيات التي سنبينها في الشكل التالي :



6.2.3 العلاقات بين الثنائيات :

الأسطورة تحاول التوفيق بين هذه الثنائيات المتضادة من خلال سرد قصة إنقاذ القرية من الغزاة و الدور الفعال الذي قامت به يما قورايا من أجل ذلك ، فالعلاقات بين الثنائيات تعكس الصراع والحل:

- تعكس ثنائيات متضادة مثل الخير والشر والحكمة و الغباء ، الحماية و الغزو ، الذكر والأنثى، يما قورايا (الخير) تواجه الغزاة (الشر) من خلال الدعاء والقوة الروحية.
- التوازن بين الطبيعة والثقافة:
- (الجبل) الطبيعة يوفر الحماية للقرية (الثقافة) من خلال تدخل يما قورايا.
- التحول من الضعف إلى القوة:
- القرية (الضعف) تتحول إلى قوة بفضل (يما قورايا) القوة الروحية.
- التواصل بين السماء والأرض:

(السماء) تؤدي إلى إنقاذ القرية من الغزاة (الأرض)

7.2.3 نظام القرابة في أسطورة يما قورية:

في أسطورة "يما قوراية"، لا يتم التركيز بشكل مباشر على نظام القرابة (Kinship System) بالمعنى الأنثروبولوجي التقليدي، حيث أن الأسطورة تركز أكثر على قيم الشجاعة، التضحية، والصراع بين الخير والشر. ومع ذلك، يمكن تحليل العلاقات الاجتماعية والقرابة بشكل غير مباشر من خلال فهم الأدوار الاجتماعية والعلاقات بين الشخصيات.

أ. العلاقات الأسرية والاجتماعية:

- يما قوراية: هي المرأة القوية التي تحمي القرية، ولكن لا يتم ذكر علاقاتها الأسرية (زوج، أبناء، إلخ)، تمثل الأم الحنون والحامية للمجتمع، مما يعكس دور المرأة كحامية للأسرة والمجتمع.
- زعيم القرية: يمثل السلطة الذكورية في القرية، ولكن لا يتم ذكر علاقته العائلية (زوجة، أبناء...)، يمثل النظام الأبوي الذي يحاول قمع صوت المرأة القوية.
- سكان القرية: يمثلون المجتمع الذي يحتاج إلى الحماية، ولكن لا يتم ذكر تفاصيل عن علاقاتهم الأسرية وحياتهم اليومية تربطهم علاقة بالحاكم، كقائد قوي يحميهم من مختلف المخاطر و يسير شؤونهم الداخلية والخارجية.

ب. القرابة الرمزية:

- يما قوراية كأم القرية: تعتبر رمزًا للأم الحنون التي تحمي "أبناءها" (سكان القرية) العلاقة، هذه العلاقة الرمزية تعكس نظام قرابة مجازي، حيث تكون يما قوراية بمثابة الأم الروحية للقرية.

- زعيم القرية كالأب: "الزعيم يمثل السلطة الأبوية التي تحكم القرية، و تسير مختلف الشؤون الاقتصادية، و الاجتماعية، و السياسية الداخلية و الخارجية، فهذه العلاقة يمكن تعكس النظام الأبوي التقليدي، حيث يكون الزعيم هو المسؤول عن حماية القرية، ولكن في هذه الحالة سرعان ما تنتقل إلى يما قوراية هي التي تقوم بهذا الدور. بعد مساعدتها لأهل القرية ضد الغزاة.

8.2.3 العلاقات الاجتماعية:

- العلاقة بين يما قوراية والحراس: الحراس يمثلون الأفراد الذين يتبعون أوامر الزعيم، ولكنهم يطلقون سراح يما قوراية عندما تثبت قيمتها. هذه العلاقة تعكس التوتر بين السلطة الأبوية (الزعيم) وقوة المرأة (يما قوراية)

- العلاقة بين يما قورايا وسكان القرية: سكان القرية يعتمدون على يما قورايا لحمايتهم، مما يعكس دورها كحامية للمجتمع. هذه العلاقة تعكس التضامن الاجتماعي والاعتماد المتبادل بين الفرد والمجتمع.

- غياب التفاصيل الأسرية: تركز الأسطورة أكثر على القيم الرمزية (مثل الشجاعة، التضحية، والعدالة) بدلاً من التفاصيل الأسرية، هذا الغياب يعكس أن الأسطورة تهدف إلى تقديم رسالة أخلاقية وثقافية، وليس وصفاً دقيقاً لنظام القرابة.

في أسطورة "يما قورايا"، لا يتم التركيز بشكل مباشر على نظام القرابة بالمعنى الأنثروبولوجي التقليدي. بدلاً من ذلك، يتم التركيز على العلاقات الرمزية والاجتماعية التي تعكس قيم الشجاعة، التضحية، والتضامن الاجتماعي. يما قورايا تمثل الأم الحنون والحامية للمجتمع، بينما الزعيم يمثل السلطة الأبوية التقليدية. هذه العلاقات تعكس نظام قرابة مجازي يعتمد على الأدوار الاجتماعية أكثر من العلاقات الأسرية المباشرة.

9.2.3 الوظيفة الثقافية للبنية العميقة: تتلخص الوظائف الثقافية في أسطورة يما قورايا فيما يأتي:

- تعزيز الهوية الثقافية: الأسطورة تعكس الهوية الثقافية لأهالي منطقة القبائل، حيث تربطهم بأرضهم وتاريخهم.

- تقديس الطبيعة: الجبل يعتبر مكاناً مقدساً، مما يعكس تقديس الطبيعة في الثقافة الأمازيغية.

- دور المرأة: يما قورايا تمثل دور المرأة كحامية ومخلصة، مما يعكس مكانة المرأة في المجتمع الأمازيغي.

- النضال من أجل الحرية: الأسطورة تعكس نضال المجتمع من أجل الحرية والاستقلال.

خاتمة:

عندنا تحليلنا لأسطورة توصلنا الى نتائج أهمها ما يأتي :

■ أسطورة يما قورايا تعكس ثنائيات متضادة مثل الحياة والموت، الخير والشر، الذكر والأنثى، والتي تشكل جزءاً من البنية العميقة للثقافة الأمازيغية. من خلال تحليل هذه الثنائيات، يمكننا فهم كيف تعامل المجتمع الأمازيغي مع قضايا الوجود والخلق والفناء.

■ التحليل البنيوي يكشف عن كيفية استخدام الأسطورة للرموز والصور لتوصيل رسائل أخلاقية واجتماعية. ف شخصية "يما قورايا" ليست مجرد شخصية أسطورية، بل هي تجسيد لقيم المجتمع وتطلعاته، كما أنها تعكس الصراعات الداخلية التي يعيشها الفرد في مواجهة الطبيعة والمجتمع.

■ أسطورة "يما قورايا" وفق منهج ستراوس، ليست مجرد حكايات من الماضي، بل هي أدوات ثقافية تساعد المجتمع على فهم ذاته والعالم من حوله. وهي تعكس رؤية العالم التي تحملها الثقافة الأمازيغية، وتقدم لنا نافذة لفهم كيفية تعامل هذه الثقافة مع الأسئلة الوجودية الكبرى.

■ أهمية أسطورة يما قورايا ليست مجرد قصة تُروى للتسلية، بل هي تعبير عن الهوية الثقافية للأمازيغ وتاريخهم الطويل في المقاومة ضد الغزاة. تُستخدم هذه الأسطورة للحفاظ على التراث الأمازيغي ونقل قيمه من جيل إلى آخر.

المراجع

- إبراهيم مصطفى و احمد حسن الزيات وآخرون. (1972). المعجم الوسيط (المجلد 1). تركيا، نركيا : المكتبة الاسلامية.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب (الإصدار 3). بيروت، بيروت : دار طادر.
- السواح. (2007). مغامرة العقل الأولى- دراسة في الأسطورة (الإصدار 4). سوريا: دار علاء للنشر والتوزيع.
- أمن داود. (1992). الأسطورة في الشعر العربي. القاهرة : مكتبة عين الشمس .
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (2003). أساس البلاغة (الإصدار 1). مصر ، مصر : الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- سعيد الحنصالي. (2010). الأنثروبولوجيا البنيوية: كلود ليفي ستروس نموذجًا. الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.
- عبد الرحمان بوزبدة. (2005). قاموس الأساطير الجزائرية. الجزائر : طبع المؤسسة الوطنية وحدة الرغبة.
- عبد الله عبد الرحمن يتييم. (2003). الأنثروبولوجيا: علم الإنسان والحضارة. بيروت : دار الكتب العلمية،.
- عبد المنعم تليمة. (1976). مقدمة في نظرية الأدب. القاهرة : دار الثقافة.
- علي أسعد وطفة. (2012). الأنثروبولوجيا الثقافية: النظرية والتطبيق. دمشق : دار الفكر.
- فاروق خورشيد، .، (2002). أديب الأسطورة عند العرب - جذور التفكير و الأصالة و الإبداع . الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.
- قيس الثوري (1981)،، العراق، جامع الموصل، (1981). الأساطير وعلم الاجناس. عمان : دار اليازوري العلمية.
- كلود ليفي ستراوس ترجمة د مصطفى صالح. (1977). الأنثروبولوجيا البنيوية". دمشق: منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي.
- كلود ليفي ستراوس ترجمة: حسن قبيسي. (1984). الأنثروبولوجيا البنيوية. بيروت: منشورات عويدات.
- محمد الجوهري. (1999). لأنثروبولوجيا: المذاهب والنظريات. القاهرة : دار المعرفة الجامعية.
- نبيلة إبراهيم. (1985). الأسطورة والتراث الشعبي. القاهرة: دار المعارف.